أ. أنـــاهيـــد الســـمـــيـــري

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

/http://www.muslimat.net

- الكمال لله -عزّ وجلّ-، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله. .

والله الموفق لما يحب ويرضى.

عناصر اللقاء:

أولًا: ممهدات القيم:

التمهيد الأول: الإنسان والقيم:

العامّة تقول: "قيمة كل امرءٍ ما يُحْسِن". الخاصّة تقول: "قيمة كل امرءٍ ما يَطْلُب" قيمتك بقيمك.

التمهيد الثاني: معنى القيم:

القيم في اللغة: الشيء القيّم.

القيم في التربية: تصوّرات معرفيّة راسخة يعتقد بها الإنسان اعتقادا جازمًا يشكّل لدى الإنسان منظومة من المعايير يحكم بها على الأشياء من جهة الحُسن والقُبح والقبول والرّدّ ويصدر عنها سلوك يتميّز بالثبات والتكرار والاعتزاز.

أنواع السلوك الذي تنتجه القيم:

- سلوك ثابت
- سلوك متكرّر
- سلوك يعتزّ به

خطوات القيم:

١. معرفة

٢. تحوّل المعرفة إلى اعتقاد يقينيّ

٣. هذه المعرفة التي تحوّلت إلى اعتقاد يقينيّ أنتجت معاييرا وسلوكًا.

التمهيد الثالث: موقع القيم بالنسبة لخلقة الإنسان: القيم من فطرة الإنسان والفطرة فيها ثلاث معالم:

١. المسلّمات ٢. المستحسنات ٣. المستقبحات

الفرق بين أخلاقنا وأخلاق غيرنا:

- الشّمولية
- الاختلاف في المحتوى.

الأديان غيث السماء والقيم نبت الفطر

التمهيد الرابع: القيم والصّراع:

هناك صراع بين الفطرة والطباع والهوى

ثانيًا: نموذج على القيم: قيمة الاحترام:

الاحترام معناه إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه. هناك مشكلتان:

- من مظاهر سلوكية تدلّ على فقد قيمة الاحترام.
- ومن فهم المربّين الذين تضيق عندهم دائرة قيمة الاحترام.

ألقي يوم الأحد ٢٧-٢-١٤٣٨هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

في مُفْتَتَح هذه السّلسلة **سلسلة القيم الأخلاقية**، التي أسأل الله -عزّ وجلّ- أن يجعلها سلسلة مباركة، نشكر الله -عزّ وجلّ- وحده لا شريك له أن يسّر لنا الاجتماع حول هذا الموضوع المهمّ ونشكر -امتثالًا لأمر نبيّنا صلى الله عليه وسلم ((من لا يشكر الناس لا يشكر الله)) - الغرفة التّجاريّة ونشكر لجامعة الملك عبد العزيز ونشكر كرسي الأمير نايف للقيم الأخلاقية لاهتمامهم بهذا الموضوع وهو موضوع القيم، ونسأل الله -عزّ وجلّ- أن تكون هذه السلسلة التي ستستمرّ في هذا الفصل الدّراسي - إن شاء الله - ثلاث لقاءات وإن شاء الله ييسّر لنا ونستمر في الفصل الدراسي الثاني أيضًا ثلاث لقاءات. سنهتم فيها بالكلام عن القيم وفي خلال كلامنا عنها سنناقش إن شاء الله مواضيع تتّصل بمعرفتنا بهذه القيم، وبالمراجع التي من المفروض أن نعود إليها لمعرفة القيم، ولمؤشّرات وجود القيم وعدم وجودها. ثم سنتكلّم في هذه السلسلة وفي هذا الفصل عن قيمة مهمّة جدا وهي **(قيمة الاحترام)** وهي من أهمّ القيم من حيث ظاهرة الفَقْدِ أي هي مفقودة، وغالب الناس عندما تناقشينهم في مسألة القيم يجدون أنّ **السلوكيّات هي مؤشِّرات للقيم**. هذا صحيح، القيم شيء مختلف عن السلوك لكنّ **السلوك مؤشّر للقيم**. فظواهر عدم الاحترام الحاصلة حولنا تجعل قيمة الاحترام من القيم المهمّة جدّا للنّقاش. لكننا لن ندخل على قيمة الاحترام مباشرة، إنما سنقدّم لها بمجموعة من التمهّدات.

التمهيد الأول: الإنسان والقيم:

سنبدأ عنوانا عنوانا وجملة جملة نمهّد فيها لموضوع القيم. سنبدأ بأول الأمر وهو؛ **الإنسان والقيم**. القيم ليست موضوعا فلسفيّا نُنَظِّر له ونتكلّم في اجتماعات نظريّة ونتفلسف حوله ثم نجد أنفسنا بعد ذلك في مجال التطبيق لا يوجد عندي ما أضع يدي عليه. ولا حتى في مسألة الاهتمام بالقيم لا أستطيع أن أقول هذه القيمة مهمّة إلا إذا التمستها التماسًا في حياتنا، يعني لا بدّ أن يكون مفهومنا للقيم واضحًا بحيث أني أشعر بوجودها وأشعر بفقدها. فأوّل مُمَهِّدٍ سنمهّد به هو **"الإنسان والقيم "**.

فيما سبق كان العامّة يقولون "قيمة كل امرءٍ ما يُحْسِن"، والخاصّة تقول "قيمة كل امرءٍ ما يَطْلُب". هذه الجملة سنناقشها بحيث نفهم "الإنسان والقيم". هذه الجملة قُسّمت قسمين: العامّة تقول " قيمة المرء ما يحسن" والخاصّة تقول "قيمة المرء ما يطلب"، سنفهم أولًا العامّة والخاصّة ثم نفهم ما يحسن وما يطلب أمامها.

العامّة المقصود بها عموم الناس، ما تفكيرهم تجاه الإنسان؟ ما قيمته؟ عند عامّة الناس قيمته "ما يحسن" أي ما يستطيع أن يفعله. أنت ما هو مكانك؟ قيمتك على قدر ما تحسن من العمل. ومعنى ذلك ممكن أن تكون قيمتك هي وظيفتك، أو قدرتك، أو مهارتك.. هذه قيمة المرء عند العامة.

أما **الخاصّة** أي الناس الذين فهموا حقيقة الحياة وحقيقة وظيفة الإنسان وحقيقة ما يميّزه، هؤلاء ماذا يقولون؟ ما قيمة

---

[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ) رواه أحمد وأبو داود والبخاري في الأدب المفرد وابن حبان والطيالسي، وهو حديث صحيح صححه العلامة الألباني.

المرء؟ قيمته ما يطلب.

وهنا سيبدأ نقاشنا: لماذا هاتين العبارتين ونحن نتكلم عنهما نقول "الإنسان والقيم"؟ لأن القيمة ما ستعطيك قيمتك! وعلى هذا الأساس سيكون نقاشنا في الجملة الثانية بحيث يظهر لنا كيف **أنّ قيمة الإنسان هي القيم التي يحملها**.

والخاصّة تقول "قيمة المرء ما يطلب". فلنناقش ما يطلب: ماذا يعني "ما يطلب"؟ ما يطلب مِنْ مَنْ؟ حتى نوجّه النقاش فنحن نتكلم عن **الإنسان ونفسه** أولا قبل الإنسان وغيره لأننا نقول " الإنسان والقيم". فالإنسان الآن قيمته على حسب ما يطلب مِنْ مَنْ؟ من نفسه! نحن نتكلّم عن القيم وقيمتك على حسب ما تطلب أنت من نفسك، ماذا تريد من نفسك أن تصل إليه؟ ماذا تطلب منها؟ إلى أيّ مستوى تريد أن ترفعها؟ متى سترضى عنها؟ متى ستسكت عنها؟ كيف ستوجّهها؟ قيمة المرء على قدر ما يطلب، الآن سنقول أول كلمة بعد "ما يطلب" هي "من نفسه".

نحن نريد الحقيقة الآن والصدق وليس الكذب: يأتي أحدهم يقول " أطلب من نفسي أن أكون إنسانًا ناجحًا" في أي مجال، بالاجتهاد أكون ناجحًا أو بالغشّ لا مانع! نحن سنقول الحقيقة ونترك عنّا المُثُل فنحن نتكلم الآن عن حقيقة حالة الناس. الإنسان يريد أن يكون ناجحًا، كيف يقدّر نفسه؟ يقدّرها عندما يرى ما الذي يطلبه منها؛ هل النجاح هو الذي يطلبه أو أنه أيضا يفكّر في الطريق الذي يوصله إلى النجاح؟ كوننا نجيب عن أنفسنا ونقول "نحن نفكّر في الطريق التي نصل بها إلى النجاح" لمّا نأتي في الواقع نجد أننا قد نتخطّى هذه المسألة كثيرا! ويكون تفكيرنا فقط الوصول إلى النجاح أيّا كانت حالة الطريق الذي أصل بها. وأريد أن أُمدح أيّا كانت حالة الطريق التي أصل إليها. ولذلك فيما يذكر أن رجلًا في عصر أحد الولاّة العبّاسيّين وُجد وهو يتبوّل في ماء زمزم، جريمة عظيمة! فسُئِل "لما فعلت ذلك؟" قال "وددت لو أشتهر ولو باللّعن"! هذا المثال ما معناه؟ معناه أنه لا يبالي المهمّ أن يكون مشهورًا! فصارت "مشهور" بأيّ صورة كانت، بأيّ مضمون، ليس مهمّا! المهم النتيجة وهي أن يكون مشهورًا.

هذه الصورة تراها اليوم متكرّرة، لكن بصورة أكثر لباقة. سنضرب مثالًا: سأترك كلّ ما تتصوّرونه وأذهب إلى ما يسمّونه "الهاكر"؛ هؤلاء من المعروف عنهم أنهم الدّاخلين على بيانات الغير العابثين فيها سواء على برامج أو غيره. غالبًا هؤلاء لا يكونون إلا من أذكياء العالم، لا يكونون من أغبيائهم. لكن هذا الفعل جَرِّدِيه من كل الشهرة عنه ومن كل شيء يُمدح عليه سيكون اسمه في الحقيقة ماذا؟ اسمه سارق! فهذا السارق الذي اسمه في الحقيقة سارق وصفته السّرقة ممكن إذا أردتم أنتم بأنفسكم أن تطّلعوا اقرؤوا ستجدون أنّ هناك مؤتمرات ومنديات تجمع مثل هؤلاء الهايكر وهناك مناقشات فهم ليسوا أيّا كان! ومع ذلك يرون أنفسهم على أنه يجب علينا احترام هم، فهم أناس محترمون! هي سرقة لكن بطريقة أكثر لباقة فقط. فالمقصود الآن أنه يجب أن نعرف أين هو مكان القيم، أنت ما علاقتك بالقيم كإنسان؟ **قيمتك هي على حسب القيم التي تعيشينها**. بمعنى أنّ قيمة كل مرء هي ما يطلب من نفسه. أنت ماذا تطلب من نفسك؟ هل تطلب من نفسك أن تكون صادقًا أو تمرّر الأمر بأيّ طريقة؟ هل تكون وفيّا أو تمرّر الأمر بأيّ طريقة؟ في المواقف؛ هل تطلب من نفسك أن تكون تقيًّا أو تمرّر الأمر بأيّ طريقة؟ هذه قيمة المرء! هذا الكلام لا يوجد فيه مناقشات عامّة و "يجب علينا.. ويجب علينا.."، "يجب علينا" هذا كلام نظري! لكن يجب أن تعرف أنت نفسك، أنت أصلا ماذا تطلب من نفسك؟ هل تطلب منها **أن تسمو**؟ أو أنّ أهمّ شيء عندك النتائج دون الالتفات إلى الطريق؟ هل تضع مرآة أمام قلبك

وترى ما تطلب من نفسك أو أنّ المواقف كما اتّفق في الحياة؟ فالمرء قيمته على قدر ما يطلب، وبين قوسين ما يطلب من من؟ من نفسه! ماذا تطلب من نفسك؟ أين تريد أن تذهب بها؟ **هل هي من تذهب بك أم أنت الذي يذهب بها؟** هل تطلب لها السمّوّ أم أنها تفعل بك ما تريد وقتما تشتهي؟ فهذا التفكير ليس عليه إجابات وقتيّة، عليه إجابات مثاليّة وغالبها تكون كذبًا! لكن ليس كذبًا على الناس، لا يهمّ الناس الآن في الموقف، بل كذبا على أنفسنا! فلمّا تأتي مواقف نجد أنّنا نطلب من أنفسنا النتائج، أحيانًا دون النّظر إلى السّلوك أو نسلك طريقا ونبرّر لأنفسنا سلوكنا للطريق ولا نشعر أنه لا يجب أن نطلب هذا من أنفسنا. أين هو عتابنا لأنفسنا؟ متى سنعاتبها؟ المسألة أصبحت بالعكس؛ أنت لو تمتّعت بقيمة الصّبر أي حبس النّفس عن الانفعال تحت الضغوط ومَنَّ الله به عليك وتمتّعت بهذا ثم وجدت نفسك أنه بسبب هذه القيمة جاءت إحداهنّ وتعدّت عليك، وتكلّمت عنك، ثم الله مَنَّ عليك وحبست لسانك وصبرت. لو كانت قيمك عالية لن تعاتبي نفسك عند رجوعك إلى البيت أنك سكتّ، لكن ماذا يحصل غالبًا؟ أننا نرجع نعاتب أنفسنا على مُمَارَسَة قِيَمِيَّة عالية، ماهو السبب؟ قيمة المرء ما يطلب من نفسه وكان من المفروض أن يقول المرء أمام هذا الموقف "الحمد لله وُفّقت وسكتّ وصبرت، الكلام الخاطئ لا يخرج من لساني!" لكن عندما انقلبت موازين القيم يقول لنفسه " أنت جبان! يقول لك كلمة واحدة تردّ عليه عشرة كلمات!". طبعا هذا بالإضافة إلى شياطين الإنس الذين ممكن أن يساعدونا في هذه المهمّة ويحسّروننا على قيمة عليا تمتّعنا بها إلى أن نصل إلى أنه حتى القيمة الموجودة في أنفسنا المحترمة تنهار! حتى لو ما مارسنا غيرها نحتقر أنفسنا أننا مارسنا القيمة العليا! فيرجع الإنسان ويعذّب نفسه لأنه حبس لسانه. يعني هذا الذي تطلبه من نفسك! قيمتك هي ما تطلبه من نفسك، إذا كنت تطلب من نفسك أن تصبح سليط اللّسان، سريع الانفعال، غضوبًا كالثّور الهائج، هذا الذي تطلبه من نفسك يصير وهذه قيمتك. لا تعرّض نفسك إلى أن يطلب منك الناس ويشكّلونك، لا تعرّض نفسك لهذا الخطر، وفي نفس الوقت راجع نفسك؛ على ماذا تحاسب نفسك؟ أين ترى الخطأ؟ أنك لم تَرُدْ؟

هذا من الأمثلة: الناس نَهَبُوا وأنت على ثغرة، الناس نَهَبُوا وأنت لم تنهب معهم، هم غشّوا وأنت لم تَغُشَّ معهم، هل عندما ترجع إلى البيت تشعر أنه كان هناك فرصة وأنت لم تستفد منها؟ ومن ثمّ تقارن نفسك بهم وتقول "هؤلاء فعلوا وفعلوا وأنا باقي في محلّي"؟ أنت قيمتك ما تطلب وما تريد منها، ولذلك القيم لها قيمة عظيمة في حياتنا ستجعلنا نقدّر أحوالنا ونعرف ما الصواب من الخطأ في مثل هذه المواقف كيف أرجع وأحاسب نفسي على أيّ شيء؟ كيف أقدّر الخير الموجود وأهتمّ به وأزيد فيه؟ وكيف أدفع الشرّ الموجود في النفس – ومن المحتّم أنّ فيها شرّا- أمنعه وأزكّيها كما ستأتينا إن شاء الله هذه الكلمة المهمة؟

على كل حال، حتى لا نطيل النّقاش، كان هذا الممهّد الأول سنخرج بنتيجة واضحة هي شعارنا في هذه السّلسلة وهي [**قيمتنا بقيمنا**] أي أنّ قيمتك بحسب القيمة التي تحاسب عليها نفسك لو انحرفت عنها. إذن ما هي قيمة المرء حسب ما اتّفقنا؟ قيمه! الكلمة من نفس الحروف وسيتبيّن لنا إن شاء الله عندما نتناقش في معنى القيم كيف أنّ معنى القيم يدور حول كلمة "قيمة".

هكذا باختصار كان عنوان الممهّد الأول "**الإنسان والقيم**" وخرجنا بنتيجة أنّ **قيمة المرء على الحقيقة هي ما يطلب،**

العامّة تقول قيمة المرء ما يحسن والخاصّة تقول قيمة المرء ما يطلب من نفسه. وهكذا ننتهي فنقول أنّ قيمتنا أمام أنفسنا وتقديرنا لأنفسنا هو قيمنا! ونقول هذا الكلام خاصّة في هذا الوقت لأنّ هناك الكثير ممّن يعيش "احتقار الذّات" الكثير يعيشون هذه المعاشر فيحتقرون أنفسهم ويشعرون أنّهم ما لهم قيمة وأنّ الناس وضعوا قيمة المرء هي ما يحسن. أي أنت من؟ ما هي الحروف التي قبل اسمك؟ ما هي الشهادات التي تملكها؟ ما هو مستواك الاجتماعي؟ فعندما يجد في نفسه أنه لا يحسن في دنيا الناس شيئًا ينعكس هذا فماذا يحصل له؟ يحتقر نفسه.

لنذهب إلى النساء: لا يحسن اللباس، لا يحسن اللّباقة، لا يحسن المكياج، لا يحسن أناقة، إلخ.. الناس وضعوا هذه كمقاييس فلمّا يحاول يقيس نفسه بمقاييسهم ما هي النتيجة؟ سيحتقر نفسه! فلا بدّ من تصحيح هذه القضيّة التي تعتبر خطيرة خصوصًا من سنّ الثامنة عشرة إلى سنّ الأربعين يكون لها أثر طويل وما بعد الأربعين سيكون حصادًا لهذه الفترة. يعني يبدأ الإنسان يحتقر ذاته، من يوم ما يفتح عينيه ويرى الدنيا ويمضي الفترة التي يكون فيها ضاجّا بأصحابه وبالناس، أول ما يجد الناس أحسنوا وهو لم يحسن بمقاييس الناس يبدأ في الانتكاسة النفسيّة ويبدأ يحتقر نفسه وأنه لا شيء. ويطرق هذا الباب ولأنه يشعر أنه لا شيء يرتدّ إلى الخلف، ثم يطرق هذا الباب ويشعر أنه لا شيء ويرتدّ إلى الخلف وهكذا حتى تجده لا يبقى في مكان إلا وهو يرى الناس أحسن منه ويرى نفسه لا شيء! لا يشعر بما أنعم الله به عليه! وهذا الأمر يمكن أن يبتلى الإنسان فيه بصحبة: مثلًا عندما يكون هناك أخوات واحدة جميلة واثنان أقلّ جمالًا، فكل ما دخلت هذه الجميلة يقولون لها "تشعرين أنك جميلة؟!" طول الوقت! وتفتح عينها على أنها ليست جميلة! حتى وإن نظرت في المرآة تقول "انظروا عيني كذا.." بحيث أنّ المقاييس تنقلب! فهذا إذا لم يفعله لنا الناس نحن نفعله لأنفسنا ونحقّر ما أعطانا الله!

قيمة المرء في الحقيقة ليست ما يحسن على قدر ما هي ما يطلب. ولذلك عندما تقرئين تاريخنا نحن المجيد ستجدين أنّ هناك أسماءً مشهورة جدا لكنّه في النّهاية يكون أصله "عبد" أسود، أتى من كذا ومن كذا ثم رفعه الإيمان! مثلًا: **الحسن البصري**[1] هذا اسم يتردّد والجميع يعرفه ومع ذلك عندما تقرئين من أين أتى وما أصله تعرفين أنّ قيمة المرء ما يطلب! ارتفع وصار له اسمًا وأصبح في التاريخ وعندما تقرئين في أصله، وكيف حاله، إلخ.. تفهمين. مثله **عطاء**[2] مثلًا وغيره من الأسماء المشهورة جدًا، حتى أنه يقال عن أحدهم لا يُفْتَى في الحجّ إذا كان موجودًا! وهذا الرجل الذي يقال عنه هذا الكلام كان دميمًا في خلقته سبحان الله، لكنه رُفِع بما يطلب! فالمرء بما يطلبه من نفسه، أين سيصل بها؟

ونخرج من النقطة الأولى بنتيجة أنّ **القيم هي التي تحدّد قيمتك**. لو نأتي إلى مقاييس الجمال؛ بنو آدم ليسوا أجمل من الغزال أو كذا وكذا من المخلوقات، وليسوا أقوى من الأسد وليسوا أطول من الزّرافة لو نريد أن نقول هذا الكلام، لكن في النهاية ما الذي يميّزهم عن غيرهم؟ **طلب السموّ**! يطلبون لأنفسهم السموّ، ولا يطلب الإنسان السموّ لنفسه إلا من

---

[1] الحسن بن يسار البصري (٢١هـ/٦٤٢م – ١١٠هـ/٧٢٨م) إمام وعالم من علماء أهل السنة والجماعة يكنى بأبي سعيد ولد قبل سنتين من نهاية خلافة عمر بن الخطاب في المدينة عام واحد وعشرين من الهجرة.

[2] أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم بن صفوان (٢٧ هـ-١١٤ هـ) هو فقيه و عالم حديث، وهو من أهم الفقهاء والتابعين في القرن الأول والثاني الهجري.

باب واحد وهو التفكير في قيمه. ما الذي يحكمك؟ ما الذي يجعلك راض عن نفسك أو مؤنّبًا مربيّا لها؟

قيمة المرء ما يطلب وهذا سيعالج فينا مشكلة كبيرة يجب أن نفهمها: مشكلة احتقار الذّات فهي مشكلة كبيرة ويجب أن نلتمسها في أنفسنا وأن نفهمها جيدا ونفهم أنه لا تحترم نفسك لأنّ معك مالا أو شهادة أو اسمك حروفا أو أنك كذا أو أنّ لك جمالا، ليس هذا الذي يجعلك تحترم نفسك! إنما هو ما تحمله من قيم، ما تطلبه من سموّ، ما ترجو أن تكون عليه في المستقبل لكن من جهة روحك وسموّها لا من جهة بدنك!

لن أترك النقطة إلا عندما تصبح تامّة الوضوح: نفترض أنك وُهبت صوتًا جميلًا والناس يمدحونك على هذا الصوت، هذا الصوت الجميل لم تأت به لنفسك هو أصلًا عطيّة! فأنت لا تُمْدح عليه إنما تُمْدح على الشيء الذي جاهدت لتصل إليه! ولا تُمْدح عليه لأنك وصلت إليه بصورة مادية، أي ليس كل ما تصل إليه تُمْدح عليه، إنما تُمْدح على شيء فيه سموّ وعلوّ!

التمهيد الثاني: معنى القيم:

من هنا يجب أن نعرف معنى القيم مادمنا ناقشناها بهذه الصورة. سنقول:

- **القيم في اللغة:** الشيء القيّم، أي الشيء الغالي النّفيس. وقيمة الشيء بمعنى قَدْرُ الشيء، نقول "فلان قيّم الشيء" أي قدّره وحدّد قيمته.

- **القيم في القرآن:** أحسن طريقة نعرف بها هذه الكلمة هي بالبحث عنها في القرآن، هي ومشتقّاتها. فالله –عزّ وجلّ– في سورة التوبة يقول لنا {ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} القيّم من حروف كلمة "قيمة" فذلك الدّين القيّم بمعنى المستقيم. معنى ذلك أنّ القيّم هو ماذا؟ القيم والقيّم وكل ما يدور حول هذا تعني الاستقامة. نحن الآن أخذنا المعنى الأول: **القيمة هي قَدْرُ الشيء**، وهنا أخذنا بمعنى **الاستقامة**. مثله في سورة البيّنة: {يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ} يعني صحفًا ذات قيمة سامية. إذن حروف القيم وردت في اللغة ولكن بغير الاستعمال الذي نستعمله نحن، إلى أن نصل إلى الاستعمال الذي نعتمده سنقول أصل كلمة قيمة وجذعها هي القاف والواو والميم وهي دائرة حول قيمة الشيء والاستقامة وتدور حول الأشياء الغالية السّامية العالية.. أيضا تدور حول عدم الاعوجاج، فدينا قيّما تعني لا اعوجاج فيه.

مثلًا في قوله تعالى في سورة الفرقان {وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا} يعني كان إنفاقهم بين ذلك قوامًا أي معتدلًا، كان الإنفاق بقدر ومُقاسًا. إذن بقدر، مُقاسًا، قيّمًا، مستقيمًا حول هذا لمعنى.

هكذا أخذنا المعنى في اللّغة وفي الاستعمال القرآني، حتى لا نطيل الكلام فإنّ كلمة "قيم" بالمعنى الذي نستعمله الآن في الأصل لم تأتي في لغة العرب إنما كأنّها مولّدة من هذه المعاني. أي أنّ القيم الأخلاقية باستعمالها المعاصر ليس لها

---

[1] [التوبة: ٣٦].

[2] [البيّنة: ٢-٣].

[3] [الفرقان: ٦٧].

استعمال سابق إنما في الأصل كانوا يستعملون "الأخلاق" و "الآداب"، اللغة واسعة فاشتقّت كلمة "القيم" من هذا المعنى الذي يدور حول قيمة الشيء، الاستقامة، الاعتدال، المعيار الصّائب. سوف نقوم بتركيب كلمتين: "القيم الأخلاقية" فماذا نقول؟ كأنّك تأتين بمعيار، بمقاس، بقيمة، تقيسين بها الأخلاق. إلى أن اندمجت الكلمتين وأصبحوا يستعملون "قيمًا" يريدون بها المقياس الذي توزن به الأخلاق. أي أنهم تركوا كلمتي "أخلاق" و "آداب" واستعملوا كلمة "قيم" كرمز للأخلاق. سلسلتنا هذه كان اسمها "القيم الأخلاقية" فالمقصود بها **المعايير التي نقيس بها حالتنا من جهة أخلاقنا وآدابنا، من جهة ممارساتنا.**

- **القيم في التربية:**

عبارة عن تصوّرات معرفيّة راسخة يعتقد بها الإنسان اعتقادا جازمًا يشكّل لدى الإنسان منظومة من المعايير يحكم بها على الأشياء من جهة الحُسن والقُبح والقبول والرّدّ ويصدر عنها سلوك يتميّز بالثبات والتكرار والاعتزاز.

نتّفق على معنى القيمة في التربية وسنقسّمه إلى "**أصل**" و"**نتائج**". القيم هي مجموعة من التّصوّرات المعرفيّة الراسخة. أي جاءتك معرفة أو معلومات وأنت تصوّرتها بطريقة صحيحة. إذن **القيمة هي: عبارة عن تصوّرات معرفيّة راسخة يعتقد بها الإنسان اعتقادا جازمًا**، ــ وضعي دائرة حول "معرفيّة" ودائرة حول "يعتقد". سنكمل إلى أن نخرج بالنّتيجة الأخيرة ثم نحلّل كل الكلمات. نكمل التعريف ــ: **هذا الاعتقاد يشكّل لدى الإنسان منظومة من المعايير يحكم بها على الأشياء من جهة الحُسن والقُبح والقبول والرّدّ** –نضع أيضا دائرة حول كلمة " معايير". وآخر جملة في التعريف– **ويصدر عنها سلوك يتميّز بالثبات والتكرار والاعتزاز.**

معنى ذلك أنّ القيم لها مبدأ ولها منتهى، من أين تبدأ؟ تبدأ القيم من المعرفة، أي لا يوجد من تكون معه قيما تصل إلى أن تكون سلوكا إلاّ إذا مرّ بالمعرفة. إذن القيم مجموعة من التّصوّرات المعرفيّة الراسخة، إلى أين تصل؟ المعرفة هي الاطّلاع والتصفّح؟ لا! يجب أن تصل به هذه المعرفة إلى حد أن تصبح عنده **عقيدة** يعتقدها اعتقادا جازما! بين المعرفة والاعتقاد هناك خطوات كثيرة هي التي من المفروض أن نناقشها أثناء كلامنا عن القيم. أنا وأبنائي ماذا سنفعل؟ أنا ونفسي ماذا سنفعل؟ سنتعلّم القيم! لكن مجرّد اطلاعك ومعرفتك للقيم لا يكفي يجب أن تمشي بخطوات إلى أن تصلي وتتحوّل هذه المعرفة إلى اعتقاد. وهنا الأزمة! يعني نقول لك "أكتب في صفحة عن الوفاء" تعبّر وتعبّر.. كأنها حصّة تعبير! لكن ما هي المعاني المستقرّة اعتقادا جازمًا؟ هذا الذي كتب في صفحة ذهنك، هذا الذي يصدر عنه السلوك، لا التعبير! لهذا فإنّ بين المعرفة وبين الاعتقاد خطوات كثيرة، لأنني قد أحفظ شواهد كثيرة عن الوفاء أو عن قيمة العزّة أو قيمة الأمانة لكن بين المعرفة والاعتقاد اعتقادًا جازمًا هناك فجوة! رغم أنني قد أحسن الكلام عن القيمة ككلام معرفيّ **لكني لا أعتقده في وجداني** وهنا تكمن الأزمة! الآباء والأمّهات تركوا للتّعليم التعريفَ بالقيمة وأيضا جَعْلِها اعتقادا جازمًا. ونحن ماذا نفعل كمجتمع وكوالدين؟ لذلك عندما يتخلّى أحد الأطراف عن مهمّته يجب أن تأتي الفجوة القِيَمِيَّة التي نعيشها.

الشّاهد الآن أنّ القيم مجموعة من التّصوّرات المعرفية الراسخة التي وصلت فأصبحت اعتقادا جازمًا ماذا تخرج لنا القيم؟

تخرج أمرين:

- **معايير**
- **سلوك**

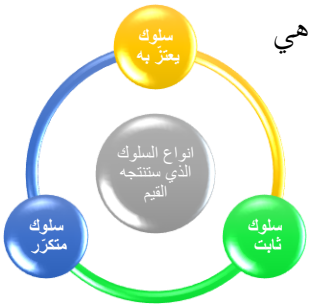

لا تظنّوا أنّ كلمة معايير كلمة يسيرة والوصول إليها يكون بسهولة! لا، المعايير هي الأصعب من السّلوك لأنك بسببها تقبل وترفض، أو تصادق وتمتنع عن الصّحبة، أو تدخل بيوت الناس ولا تدخل، أو تقبل بزيارة الناس لك ولا تقبل. بسبب المعايير تعيش حياتك وتتّخذ قراراتك، وهذه المعايير مشكلتها كبيرة جدًا. هذا المثال حتى تتصوّروا كيف أنّ المعايير أصعب من السلوك بكثير، وإن كان لو وجدت المعايير وجد السّلوك: نضرب مثالا على طفل صغير خرج من السادسة ابتدائي وانتقل إلى الأولى متوسّط، وعائلته تهتمّ جدًا ببنائه القِيَمِيّ. لنفترض أنهم يهتمّون بصلاته في وقتها وأمّه تتعب معه لتوقظه للصلاة وهو لا يستجيب لها، ثم ينتقل إلى المتوسّط ويجد صديقًا له يتعارف عليه في الأسبوع الأول، وفي الأسبوع الثاني يكتشف أنه لا يصلّي. فيشعر أنّ حاجزًا كبيرًا بني بينه وبين هذا الصّاحب فيأتي لأمّه يقول لها "اكتشفت أنّ صديقي لا يصلّي! فأحسست في قلبي مباشرة أنّي نفرت منه"، فأمّه هذه المتعبة ماذا تقول له؟ "ما شاء الله عليك أنت المصلّي؟! أنت المنتظم في صلاتك؟!" فتفسد كل شيء! لأنه من المفروض أنها تفهم أنه أصبح لديه معيارًا! والمعيار أصعب بكثير من السلوك! لأنه ما المانع له من السلوك؟ هو الكسل! لكنه غدا يستيقظ ويفهم ويسلك. قد يتكوّن المعيار إذا كبر في السنّ لا نيأس من روح الله، لكنه لو وجد في الصّغر فهو دليل على **اعتدال فكريّ طويل المدى** فلمّا يأتي من يسحبه نحو أبواب الشرّ وهو يملك معيارًا صحيحًا للقبول والرفض، لن يقبل أن يفتح على نفسه أبواب الشرّ! لأنّ معه معيارًا فمعنى ذلك أنّ أول نتيجة لوجود المعرفة واليقين هي المعايير وهذه المعايير فيها الكثير من المشاكل، مثلًا لماذا من الممكن أن نخاف على الأبناء دخولهم في جوّ يسحبهم إلى المخدّرات؟ لعدم امتلاكهم لمعيار لقبول الأصحاب! فإذا لا يمتلكون هذا المعيار ماذا تكون النتيجة؟ يسحبهم أيّ أحد ولا يهتمّون لحالته! إذا لم يكن معهم معيار أنّ "كل ما يدمّرني ويفسد عليّ عقلي فهو مرفوض" الذي يمكّنه من قياس عقله ويشعره **أنّ العقل هو أهمّ ما فيه** فهذا يعني أنّ أيّ أحد يمكن أن يجرّه إلى الباطل. اتّضح أين يكمن الإشكال؟ أهمّ نتيجة للقيمة هي **تكوين المعايير**، ولن تكوّن معاييرًا فقط فهي ستسبّب لنا أيضًا السّلوك! ما نوع السّلوك الذي ستنتجه القيم؟ فيه ثلاثة صفات:

- **سلوك ثابت:** أي غير قابل للتّغيير، فلا يستطيع أيّ كان تغييره بسهولة وفي حال اعتدى أحدهم على هذا السّلوك وقلّل قيمته واستجاب له لفترة فإنّ قيمته تعيده إلى مكانه الصّحيح.
- **سلوك متكرّر:** فهو لا يملّ من مسالكه، فيأتي من يستهزئ به لأنه لا يغشّ أو لأنه لا يكذب فيقولون له " أنت تعيش زمن الطّيّبين" ومثل هذا الكلام الذي يغمزون ويلمزون فيه بأيّ نوع من أنواع الاستقامة القِيَمِيَّة. وهذا الطفل يشعر أنه مهما أعادوا عليه فإنه سيعيد السلوك النّاتج عن القيم ولن يقع في ماذا؟

- **سلوك يعتزّ به:** لننظر إلى هذه الكلمة الثالثة لأنها مهمة جدا: لن يقع في الهزيمة إنما سيكون في حالة من الاعتزاز. هذه مشكلة كبيرة: بعض الناس يمارسون القيمة وهم خجلين منها! وهذا يعني أنها لم تثبث في نفسه، لأنها لو ثبتت لكانت النتيجة أن يعتزّ بها! إذن إذا وجدت القيمة ستوجد المعايير ويوجد السّلوك، لا تفكّروا في السلوك بل فكّروا في الخطوات الأولى.

أصبح عندنا ثلاث خطوات:

الخطوة الأولى: معرفة.

الخطوة الثانية: تحوّل المعرفة إلى اعتقاد يقينيّ

الخطوة الثالثة: هذه المعرفة التي تحوّلت إلى اعتقاد يقينيّ أنتجت **معاييرا وسلوكا**.

نحن لا نتكلّم فقط عن ذرارينا ومن نربّيهم، نحن سنتكلّم عن أنفسنا! عندما تصبح هناك قيم سيصبح أيضا هناك معيار من تقبلين، من ترفضين، ما هي الأفكار التي تقبلينها، ما هي الأفكار التي ترفضينها،.. يجب أن تعرفوا أننا في صراع قيميّ وهو يهدف لمحو بعض أصحاب القيم وبعض أنواع التفكير عن وجه العالم! فالحرب كلها دائرة حول الأفكار. انظري إلى نفسك وإلى الناس من حولك؛ الآن تجلسين مع زميلاتك أو صاحباتك أو عائلتك، وتكون إحداهن قد اشترت أيّ شيء (جوّال، ملابس، مكياج، إلخ..) من مكان معيّن وأنت اشتريت شيئا آخر من مكان آخر، فعندما يصرّ الإنسان على رأيه ويدخل في حرب أفكار فإننا نقضي طوال الجلسة " الذي اشتريته أحسن ممّا اشتريته" وهي تقول: "لا ما اشتريته أنا هو الأحسن! " ونظلّ نتحارب إلى أن أكون منتصرة في النهاية. لماذا؟ لأنّ قيمتي في داخلي تساوري انتصاري بما أقول! لماذا نصرّ جميعنا على أنّ اختيارنا هو الأولى؟ لأنّ المسألة أبعد من ذلك: أنا أفكّر أحسن وأفهم أحسن، أنا ذوقي أحسن، كل هذه الأبعاد التي هي من خلف المسألة. فتكون القيمة الأخيرة أن تفهم أنت أني الأعلى منك فهما والأعلى منك ذوقا، فمن الطبيعيّ أن تكون هناك حرب أفكار! هذا أنت وزميلتك، أنت وصاحبتك، أنت وقريبتك، فما بالك أنت وعدوّك؟ لن تكون هناك حرب أفكار؟ يلزم أن تكون هناك حرب أفكار! فهذا الذي ينام ويقول "لا توجد حرب في العالم"، لا! هناك **حرب أفكار** إلى أن يصلوا بالإنسان صاحب النّعمة فيجعلونه كأنّ ما عنده إلاّ نقمة! وماذا يفعل الحسّاد في بعضهم؟ والنساء طبعا عندهن المهارة العليا في ذلك مثل المثال الذي ضربناه في الأول؛ عندما تريد أن تحطّمك من الدّاخل تقلب عليك النّعمة إلى نقمة! وتبقى تشعرك أنه " أولادك كثيرون! ما كل هذا؟؟ ماذا ستفعلين معهم؟ " وكل هذا يشعرك بأنك في نقمة. ثم بعد مرور الأيام يعرف الإنسان كم أنعم عليه الله عز وحل ويعرف يقدّر أنهم كانوا حاسدين له ولهذا حاربوك بفكرهم. نفترض مثلًا: زوج أو والدان ضابطان لأمور الحياة، لا يوجد انفلات أو كلّ على هواه فيأتي من يفقد مثل هذا ويقولون لك "كأنكم في سجن!" فيقلبون النّعمة إلى نقمة وهذه هي حرب الأفكار، إذا لم يملك الإنسان قيما تشعره أنه منعم عليه وأنّ الله أعطاه وأنه بدون هذا الشيء لا يكون، وتشعره أنه يحترم قيمه ويعتزّ بها ولن يتنازل عنها لأنه ليس مجبرا على القيام بها، فهذه النتيجة الأخيرة أنّ الإنسان يعتزّ بقيمه يجب أن تبدأ من والدين معتزّين بقيمهم، من عند صحبة معتزّة بقيمها. من أين أأتي بأناس معتزّين بقيمهم؟ يلزم من أول السّلسلة؛ معرفة صحيحة، واعتقاد يقينيّ يوصلني إلى معايير صحيحة ثمّ هذا بدوره يوصلني إلى سلوك صحيح وشرط السلوك

الصحيح هو أن يكون ثابتا، متكرّرًا وصاحبه معتزّ به لكن إن كان يمارس بخجل فلا هذا لا يملك قيمًا! هذا يعني أنه يمارس المسألة لمجرّد العادة فلمّا وجد مجتمعا يهاجمه تنازل عن قيمه أو مارسها **بخجل**.

هكذا نكون عرفنا معنى القيم، وهذه كانت المقدّمة الثانية. اتّفقنا على ممهّدين: اتّفقنا في الممهّد الأول على " الإنسان والقيم" أي علاقة الإنسان بالقيم، وفهمنا أنّ قيمة الإنسان هي ما يطلب من نفسه وأنّ قيمتنا بقيمنا. ثم في الممهّد الثاني اتّفقنا على "معنى القيم" وعلى أنّ كلمة " القيم" في الاستعمال المعاصر تعتبر كلمة مولّدة المعنى فحروف القيم أصيلة لكنّها مولدّة المعنى في الأصل كانت تستخدم في معنى قيمة الشيء والاستقامة وما يلحق بها لكنهم أضافوا إليها القيمة الأخلاقيّة فصار الكلام حول قيمة الأخلاق عند الإنسان، إلى أن تركت كلمة " الأخلاق" وأصبحوا يستعملون كلمة " قيمة" وصارت القيم تعني فيما مضى الأخلاق والآداب. واتّفقنا على معناها تربويّا وهذا المعنى حدّد لنا الطريق التي نصل بها: وهي مجموعة من التّصوّرات المعرفيّة الرّاسخة التي يأتي من ورائها اعتقاد يشكّل منظومة من المعايير من جهة ومنظومة من السلوكيّات من جهة أخرى.

التمهيد الثالث: موقع القيم بالنسبة لخلقة الإنسان:

عندما خلقنا الله –عزّ وجلّ– أين هو مكان القيم؟ وهذا موضوع مهمّ جدًا من أجل أن نصل لكون القيم غير دخيلة. القيم أو الأخلاق أو الآداب ليست موضوعًا دخيلًا، وهناك أزمة يمرّ بها الناس دائمًا عندما نتكلّم عن الأخلاق وهي ناتجة عن الهزيمة النّفسيّة. نبدأ فنقول: الله –عزّ وجلّ– خلق الخلق وجعل في أصولهم فطرًا، هذه الفطرة خِلقة فيها ملكة. أي أنه عندما يكون الإنسان على فطرته فإنه يملك ملكة، هذه الملكة تشبه ملكة السّمع والبصر، السّمع نسمع به، البصر نبصر به، والفطرة ماذا نفعل بها؟ الفطرة ندرك بها الحسن من السّيء! ولذلك {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} ماذا تعني ألهمها فجورها وتقواها[1]؟ أي أنها علّمت الحسن من القبيح. ففي الأصل الحسن والقبيح أمران متّفق عليهما وسوف نطيل النّقاش في هذه المسألة لأنها إذا جهلت تجهل النّعمة التي نحن نعيشها! ونعتقد أنّنا نحن من نلقّن أنفسنا ونلقّن الناس كيف يميّزون بين الحسن والقبيح، وهذا ليس صحيحا! أنت خلقت على خلقة فيها تميّز بين الحسن والقبيح، " فألهمها " أي خلقها على هذه العطيّة، ماذا ألهمها؟ فجورها وتقواها.

فلنناقش الفطرة باختصار حتى نتصوّر كيف أنّ هذه الفطرة فيها القيم وكيف أنّ الإنسان منذ نعومة أظافره يملك البذور الأساسيّة للقيم. الله –عزّ وجلّ– خلق الإنسان على هذه الفطرة وفيها ثلاث ملامح أساسيّة:

- **المعلم الأول: المسلّمات:** أيّ طفل في العالم خلق عاقلا عنده هذه المسلّمات. وهذه المسلّمات يعرف بها "عقل الإدراك" أي يدرك بها الأشياء. فيعرف أنّ أيّ فعل من ورائه فاعل وأنّ صفة الفعل تدلّ على صفة الفاعل. يعرف أنّ الكثير خير من القليل وأنّ الكامل خير من النّاقص. يعرف كل هذا، بدليل أنّ الطفل ذو سنتين يعطيه أحدهم بسكوتة فيعطيك لتفتحيها له ثم تأكلي منها، ماذا يفعل؟ يبكي مباشرة، لماذا؟ لأنه يعرف أنّ أخذك منه يعني إنقاصه! والنّاقص عنده شرّ، فهو فيما يطمع؟ يطمع في الكامل. فهو بعقل الإدراك يدرك أنّ الكمال خير من النّقص وأنّ النّقص أشرّ من

[1] [الشمس: ٧-٨].

الكمال أي أنّ الكمال أحسن منه. فهذا بفطرته وهذا ما نسمّيه "**مسلّمات**" لا نقاش في هذه الأمور، ما من أحد يعلّم الآخر أنّ الكامل أفضل من النّاقص. فأوّل ما الطفل العاقل يفتح عينيه ستكون هذه المسلّمات موجودة عنده. وهذه المسلّمات كثيرة وستعيننا إن شاء الله في القيم لكنّها ليست مقصودنا هنا في القيم، المقصود في القيم هما المسألتين اللّاحقتين. نحن نقول: هناك ثلاث معالم رئيسية في الفطرة والمعلم الأول هو المسلّمات.

- **المعلم الثاني والثالث: المستحسنات والمستقبحات:** أي أنّ هذا الصّغير خلقه الله وفي نفسه أمورا يستحسنها وأخرى يستقبحها. وجرّبي مع طفل رضيع عمره تسع أو عشر أشهر أو أكثر؛ جرّبي كما لو أنك تهاجمين أمّه وتريدين ضربها ولاحظي ردّة فعله، يسكت؟ لا! هو تسع أو عشر أشهر لكنه يبكي وقد ينفعل انفعالات حتى يدفع عنها، لماذا؟ لأنّ كل هذا عنده مستقبح، الاعتداء على أمّه مستقبح والدّفاع عنها مستحسن! فهذه من أصول فطرته لم يعلّمه أحد "هذا مستقبح، هذا مستحسن". لكن أيّ أحد فيكم يجرّب هذه التّجربة مع طفل عاقل سيفهم مباشرة أنه خُلق على هذه الخلقة: هناك مستحسنات وهناك مستقبحات. عندما يقال لنا أنّ الطفل في العائلة عندما يكون صغيرًا وأحدهم يظلم إخوانه مثلًا يضربهم أو يصرخ عليهم وهو لايزال رضيعًا لا يفهم الموضوع لكنه يبكي وينهار ويجد في نفسه الكثير من الألم. فبالرغم من أنه لم يكلّمه أحد. إلا أنه يشعر أنّ هذا ظلم واعتداء! ويشعر أنّ هذا الأمر قبيح وليس حسنًا، وأنّ هذا يدلّ على أنّ هناك اضطرابًا وأنّنا لسنا هادئين، هذا يدلّ على أنه عندنا مشكلة. وهذا كلّه بالنسبة له قبيح. فيضطرب نفسيّا نتيجة اضطراب العائلة رغم أنه ما عاش الأمر. فكثيرًا من المشاكل الزوجيّة يمتصّها الطفل ولو كان رضيعًا بسبب أنه عنده الاستحسان والاستقباح ويفهمه. بل أنّ الأمّ عندما تبتسم لطفلها الرّضيع وينشرح صدرها ينشرح كذلك صدره، فإذا كشّرت في وجهه وهو لم يفعل شيئًا يمكن أن يبكي فقط من تغيّر معالم الوجه! فهذا كله دليل على أنّ هذا المخلوق خُلق ومعه فطرة فيها المستحسن والمستقبح. لو اعتبرنا هذه الفطرة التي فيها المستحسنات والمستقبحات أرضًا للإنسان فإننا سنقول أنّ بذور القيم موجودة فيها. فبذور قيمة " العدل" موجودة في أرض الفطرة، بذور قيمة "الشكر" موجودة، بذور قيمة "الإحسان" موجودة، هذا كله أصلًا موجود في أرض الفطرة. إذن من يملك هذا؟ كل الناس! في أصلهم **يملكون بذور القيم العليا**.

إذا اعتبرنا أنّ الفطرة هي الأرض وأنّ القيم هي البذور، ما الذي يسقيها؟ تسقيها الدّيانة! فقط الدّين هو الذي يسقيها؟ لا، ممكن أن يسقيها المجتمع و التربية. لكنها عندما تفقد الدّين ما هي النتيجة؟ النتيجة هي أنه قد ينمو بعضها وبعضها لا ينمو، ما تروى كلّها. ولذلك نقول أنّ **القيم تحتضنها الفطرة وتروّيها الدّيانة**.كأننا سنعتبر الدّين غيثًا من السّماء والقيم نبت الفطر؛ إذا نزل على الإنسان غيث من السماء كامل نبتت كل قيمه، وإذا نصف ونصف نبت نصف ونصف، وإذا ترك بعضها القليل والكثير فمعناها سينمو هذا وسيبقى الباقي ميتًا.

في ضمن هذا الكلام سنجيب على إشكالية عند البعض رغم أنّ المسألة ليست مشكلة: الذين يقولون "نحن نقول دائمًا أنّ المسلمين عندهم أخلاق سامية –وهذه هي الحقيقة– لكننا نرى أنّ للكفّار أخلاقًا" هذا ما يزعمونه، نحن سنسلّم أنّ للكفّار أخلاقًا لكن بناء على فهمنا هذا من أين تأتي الأخلاق في الأصل؟ **من الفطرة!** فأرض الفطرة عند الناس جميعا يجتمعون فيها على القيم، لكن الفرق لا تفكّري في المعاصرين بل فكّري في الماضي! فكّري في الجاهليّة فهي أجهل

فترة عاشها النّاس لا نور فيها، لم يكن للناس قيم أبدًا؟ كان عندهم قيم! مثلًا الشجاعة، الصدق، الكرم، الوفاء، كان لا يمدّ عينه لجارته حتى يواري جارته مثواها، إذن القيم موجودة. هذا ما يسمّى؟ **بقايا القيم**. معنى ذلك أننا عندما نقول أنّ القيم الأخلاقية الكاملة هي للإسلام وأهله – لكن أهل الإسلام الذين هم أهل الإسلام! وليس أولئك الذين هم شكل بدون مخبر، أهل الإسلام الذين روّوا بالديانة! – فإنّ القيم عندهم ستكون صورتها مكتملة. وهذا الكلام لا يعني أنّ القيم لا تكون عند غيرهم، إنما القيم أصلًا بذورها في أرض الفطرة. فقط أنت فكّري في الجاهلية وستفهمين الجواب مباشرة أنّ هذا الكلام كان قبل الإسلام لكن تلك كانت حالتهم. إلا أننا سنختلف في أمرين الآن:

- ما موقع القيم في خلقة الإنسان؟ سنعتبر أنّ القيم هي بذور في أرض الفطرة تسقيها الدّيانة. أنت تخيّليها بذورا في أرض الفطرة، هذا يعني أنّ الله لما خلق كل الناس وضع أصول القيم في نفوسهم. القيم ليست هي نفسها الفطرة، فهي كأنها البذور الموجودة في أرض الفطرة.

والكلمات المجملة هي أنّ **الدين غيث السماء والقيم نبت الفطر**. إذا أخذنا الجزء الثاني من التعريف فسيجعلنا نقول أنّ كل العالم عندهم قيم ليس المسلمون فقط! فما هو الفرق بين قيمنا وقيم غيرنا:

الفرق الأول في المسألة سيكون من جهة **شمول القيم**: أي أنّ أرض الفطرة مليئة ببذور القيم فعندما تنزل عليها الديانة فتروّيها ستنبت كلها، لا يأتي في جانب ما وتذهب قيمه أو يأتي وقت ما ونتنازل عن قيمنا بل ستكون شاملة لكل القيم. هذا أمر مهمّ، فلا نأخذ مثلًا القيم المتّصلة بالرفق بالحيوان ونترك القيم المتّصلة بالرفق بالإنسان! فالناس الذين يتشدّقون بالرّفق بالحيوان قد يكونون هم أنفسهم لا علاقة لهم بالرفق بالإنسان. فنحن لا نرفق بالحيوان رفقًا لم ينزل الله به سلطان ونترك الرفق بالإنسان. معنى ذلك أنّ القيم الإسلامية نظرتها شموليّة، فهي تجعل كل كبد رطبا فيه أجرا! بل أنّ المرأة البغيّ سقت كلبًا شكر الله لها فغفر لها. معنى ذلك أنّ الرفق بالحيوان موجود لكنّ الأعلى والأهمّ منه هو الرفق بالإنسان. والله رفيق ويحب الرفق ، وما أعطى شيئا مثلما أعطى على الرفق، وما دخل بيت قوم الرّفق إلا كان بيت خير ، وما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه ، إذن الرفق موجود بجميع معانيه، بتفاصيله! إذن بهذه الصفة اتّفقنا على أنّ القيم الإسلامية تختلف عن غيرها بالشّموليّة فلا نأخذ جزءً ونترك البقية. لو فكّرنا في الجاهلية فقد كانوا يأتون بقيمة ويضخّمونها لكنهم يأتون في قيمة أخرى ولا تكون موجودة عندهم! ليس هذا هو التّوازن الإنساني، بل التوازن الإنساني أن تكون جميع القيم على اختلاف مستوياتها موجودة!

---

[1] عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((يا عائشة، إنَّ الله رفيقٌ يحبُّ الرِّفْقَ، ويُعْطِي على الرِّفْقِ ما لا يُعْطِي على العُنْفِ، وما لا يُعْطِي على ما سِواه)) رواه مسلم.

[2] عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا عائشة ارْفُقِي، فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً دلَّهم على باب الرِّفق)). وفي رواية: ((إذا أراد الله –عزّ وجلّ– بأهل بيتٍ خيراً أدخل عليهم الرِّفْقَ)) أخرجهما أحمد. قال الهيثمي: ((رجال – الرواية – الثانية رجال الصحيح)) [مجمع الزوائد].

[3] عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّ الرِّفْقَ لا يكونُ في شيءٍ إلا زانَهُ، ولا يُنْزَعُ من شيءٍ إلا شانَهُ)) رواه مسلم.

- نأتي إلى النّقطة الثانية التي يحصل فيه الفارق: هناك فرق بين قيمنا وقيم غيرنا في **المضمون**، قد نتّفق في الأسماء لكنّنا نختلف في مضامين القيم. لنأخذ مثال الرّفق بالحيوان؛ عنوان " الرفق بالحيوان" هو عندنا تحت الرّفق، إذن كملة "الرفق" مشتركة بيننا وبين غيرنا، كما أنّ الرفق بالحيوان مشترك بيننا وبين غيرنا. كل نرى نحن أنّه من الرفق بالحيوان عدم ذبح الحيوانات التي سخّرها الله للإنسان؟ لا نرى هذا! نحن نرى أنّه قربى لربّ العالمين، لكن لا تأذي الحيوان، لا تفعل كذا لا تفعل كذا إذن المضامين لنتكلّم مثلًا عن مسألة مثل مسألة برّ الوالدين، لا يوجد اثنان في العالم يختلفان على أنها قيمة عليا! من من العاقلين يأتي ويقول لك "برّ الوالدين ليس له قيمة"؟ أبدًا! فلنرى مضمونه عندنا ومضمونه عند غيرنا: مضمونه عندنا أنك ستتقرّب إلى الله بهذا البرّ، ما استطعت أن تفعله من أعمال يرضاها الله مع أحد الوالدين فإنّ باب الجنّة سيكون من ورائه. حبس باب الجنّة وراء هذا، (الزم قدميها فثمّ الجنّة) [1]، إلى آخر المضامين. وعند غيرنا هذان الوالدان لهما عيد أو يوم أو عمل وينتهي بمجرّد القيام به. فهذا فرق شاسع بين مضموني القيمة. فإذا سمعت أنّ هناك قيما مشتركة فاعلم أنها مختلفة من جهة المضمون.

إذن تختلف القيم من جهة الشّمول ومن جهة المضمون، ومعنى ذلك أنّ القيم العليا هي عبارة عن قيم إنسانية موجودة في الإنسان فقد خلقه الله وفيه بذور القيم. ولا تظنّوا أنّ أهل الكفر سواء في الماضي أو المعاصرون لا يوجد عندهم أصل القيم، أصل القيم موجودة! لأنّ الله خلق الإنسان ومعه أصل القيم، لكن سيبقى الفرق في ترويتها وشموليّتها. ما الذي يروّيها؟ ما الذي يغذّيها؟ فإذا كان الدين يغذّيها فستنمو كلها وسيكون محتواها صحيحًا وإذا كانت فاقدة لهذا فستكون النّتيجة أنه قد تنمو بعض القيم بصورة شاذّة نتيجة عدم الشّمولية والاختلاف في المحتوى.

هكذا الحمد لله نكون اتّفقنا على الممهّد الثالث، إذن أين هي القيم في خلقة الإنسان؟ سنقول أنّ الله –عزّ وجلّ– خلق الفطرة وخلق فيها بذور القيم وبقي الإنسان معها ينمو وينمو فينمّيها بالمعرفة وبالتّزكية كما سيأتينا.

التمهيد الرابع: القيم والصّراع:

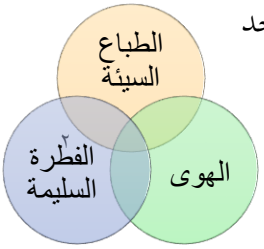

نأتي الآن إلى الممهّد الرابع: سنتكلّم عن القيم والصّراع الذي يعيشه الإنسان. لماذا يوجد هناك صراع يعيشه الإنسان؟ نعم هناك صراع لأنّ مكوّنات الإنسان فيها تضادّ، فالإنسان وجد فيه **الفطرة** التي فيها الخير {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} [2] وأمام هذه الفطرة السويّة يوجد في الطّرف الثاني شيء خطير وهو **طباع الإنسان وهواه**. الإنسان ابتلي بها.

مثلًا ابتلي بأنه سريع الغضب، بأنه كثير الكلام، بأنه سيّء الظنّ، فهذه طباعه. هو الآن معه فطرة سويّة تميّز الخير من الشرّ هذا هو الجانب الإيجابي، وفي الجانب السلبي معه طباعه وهواه. طبعا هناك طباع حسنة لن نتكلّم عنها لكننا

---

[1] روى الطبراني في "الكبير" (٨١٦٢) عن طلحة بن معاوية السلمي رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، إني أريد الجهاد في سبيل الله، قال: أمك حية؟ فقلت: نعم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (الزم رجلها فثَمَّ الجنة). حسنه الألباني في "صحيح الترغيب" (٢٤٨٤).

[2] [الشمس: ٧-٨].

سنتكلّم عن الطّباع السيّئة لأننا نريد أن نختصر، فهذه الطّباع السيّئة تجتمع مع الهوى ويحاربان ماذا؟ الفطرة السويّة! من سينتصر؟ دائما ينتصر الأقوى! ومن يحدّده؟ الإنسان؛ فإذا قمت بتقوية قيمك وتغذيتها وتنميتها وتنشيطها بالتفكير وتقول لنفسك: "أنا لو كنت في هذا الموقف كيف كان من الممكن أن أتصرّف؟ ماذا سأفعل؟ ماذا سأقول؟" لا تقل هذا لنفسك بصورة مثاليّة إنما بصورة حقيقية! فنحن عندما نكون في الرّخاء نقول "لو كنت في هذا المكان لفعلت كذا وكذا.." وأمدح نفسي، ليس هذا هو التفكير بل حقيقة في مثل هذا الموقف سترضى؟ ستغضب؟ كل هذا ينشّط القيمة. طبعا هناك طرق لتنشيط القيمة لكن باختصار: تعلّمها جيدا، تفكّر في المواقف "لو أنا الواقف في هذا الموقف وقالوا لي إمّا أن تكذب أو يحصل لك كذا ماذا كنت سأفعل؟".. إلخ حتى تنمو القيم. إذا نمت القيم غلبت الهوى والطّباع، وإذا ضعفت القيم ستكون النتيجة انهزام الإنسان وستتغلّب عليه طباعه. وهذه الطريقة دائما ما نقول فيها كلّما حدث أمر ما " **لم أقدر على تمالك نفسي**"، لماذا لا يقدر أن يتمالك نفسه عن الغضب، عن الانتقاد، عن الظنّ السيّء، عن السّرقة؟ لماذا لم يقدر على تمالك نفسه؟ من تغلّب عليه؟ طبعه وهواه! أصبحا مع بعض بالإضافة إلى الشيطان ومن الجهة الأخرى الفطرة السويّة التي لم ينمّي فيها القيم! هي مجرّد بذور كان من المفروض أن يقوم الإنسان بترويتها حتى تنمو وتقوى فينجح في الصّراع. فعندما يقول الإنسان "ما هو دوري في الحياة؟ أنا صليت وصمت.." متصوَّرا أنّ هذه الأفعال التي تأخذ منه دقائق هي دوره! لا، أنت تختبر طول الوقت! تنجح في الانتصار على نفسك وعلى هواك أو لا تنجح، متى ما أمرتك نفسك فعلت. عندما نقرأ في سورة الشمس **{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا۞ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا}**[1] بكلمة مختصرة ماذا تعني زكّاها؟ بناء على ما تناقشنا فيه أليس معه فطرة وبذورا للقيم؟ ماذا فعل؟ قوّى هذه الفطرة، ثم من الجهة الأخرى يوجد طباع وهوى فبقي طرف الفطرة والقيم ماذا يفعل فيهما؟ يخرجه من نفسه واحدا واحدا! زكّاها تأتي بمعنى طهّرها وافترضي كأنّ الجهة الثانية من الإنسان هي أيضًا أرض وفيها قاذورات وأوساخ، الجهة الأولى وهي القيم التي روّيت بالديانة ماذا ستفعل؟ ستمدّ يدها إلى الطّباع والهوى وتقوم بعملية تنقية فتخرجها واحدة واحدة. أي أنها تكتشف نفسها، فيأتي إنسان غضب وفعل وفعل ولكنه يعرف أنّه عند الله لو تجرّع الإنسان الغضب وسكت و صبر فهذه الجرعة التي حبس نفسه بها سيكون بسببها يوم القيامة على منبر وينادى "اختار من الجنّة ما شئت" نتيجة أنه كظم جرعة من الغضب ! هذا الأمر الذي سينتصر[2] به كأنّ فطرته السويّة وقيمه العليا تمدّ يدها إلى الغضب وتخرجه نقطة نقطة! بحيث أنه ينتهي؛ يحبس نفسه، يردّ نفسه، يناقش نفسه، يكلّم نفسه، يذكّر نفسه، يفعل بنفسه أفعال كثيرة لكي في النّهاية ينقّيها ويكون واضحا أمام نفسه ولا يقول "هم أفقدوني صبري! يستحقّون ما حصل معهم! هذا هو طبعي وهذا هو وضعي! من القديم وأنا أتصرّف على هذه الشاكلة: لو أنّ أحدهم أغضبني أو ذلّني أفعل معه هكذا!" هذه ليست حلولًا! كأنه يقول لهم " تعالوا معي ساعدوني على أن ينتصر طبعي وهواي عليّ" فيقول الناس لبعضهم "هذا عصبي، لا بأس اتركوه حتى يتمادى فينفجر.." وفي النهاية يخسر نفسه وعائلته وأهله! وكلّ هذا هو نتيجة أنه لم يأخذ قرارًا من البداية

---

[1] [الشمس: ٧-٩].

[2] خرّج الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء)).

أن ينمّي عنده قيمة الصبر وحبس نفسه إنما يستسلم لنفسه.

فللنظر عندما تريدون أن تكونوا رشيقين وجميلين تتركون أنفسكم على هواها تأكل ما تريد؟ وكل هذه التفاصيل التي يحدّثونكم عنها من عضلات وغيرها تتركونها كما تريد هي؟ أم أنكم على قدر استطاعتكم تروّضون أنفسكم حتى لا تتصرّف حسب ما ريّحها ثم تنفرط؟ هذا الذي تفكّرون فيه في الأجسام ما في **القلوب** أعظم منه! لو تركت نفسك فإنها تنفرط، لكنك لو ضبطتها **وريّضتها** على أنّ قيمك تردّك فستعلوا القيم حتى تصخ سياجًا ولا تدع الطبع والهوى يهجمان في الموقف ويتّخذان القرار. وطبعا لو صدقت صدق الله معك! يختبرك ويختبرك إلى أن تنجح وينتهي بذلك هذا الطبع أصلًا وينتهي أثره منك. ومن أجل ذلك تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودًا عودًا فأيّما قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأيّما قلب أنكرها أي قاومها نكت فيه نكتة بيضاء! حتى تنقلب القلوب على قلبين: أبيض مثل الصفا **لا تضرّه الفتن إلى قيام الساعة** ، هذا نوع من المشاكل لن[1] يعترضك بعد الآن! لأنك انتصرت مرة واثنتان وعشرة، انتهينا! ثم ستكتشف في نفسك مشكلة أخرى فتقوم بإصلاحها وإصلاحها وتستمرّ الحياة هكذا إلى أن تصبح في حالة من السموّ وفي كلّ مرة تنتصر أنت على نفسك وليس العكس. ولهذا فإنّ ترك أنفسنا على هواها ليس دليلًا على أننا ناجحون إنما هو دليل على **الفشل** لأن الإنسان لم يستطع أن يقاوم الإلحاح الذي يصدر من الطّبع أو من الهوى أو يصدر من المصيبة الأكبر وهو الشيطان. ولذلك في الحديث ((إنّ للشيطان لمّة وللملك لمّة)) اللّمة كأنها بمعنى الحضن، للملك لمّة وللشيطان لمّة أي بالقلب، "يلقيان فيها الخبر؛ فأما لمّة الملك فإيعاد بالحق" أي أنه يقول لك (لو صبرت ستأخذ أجرًا، ما فائدة أنك تتكلم الآن؟ ما فائدة أن تغضب؟ ما فائدة أن تضارب؟) فلمّة الملك تؤيّد فطرتك وقيمك وأنت من يطلبها! فأنت تمشي على الصراط المستقيم فتأتيك دائما لمّة الملك. وهناك لمّة الشيطان ماذا تفعل لك؟ ستقرّب لك القبيح.

فإذا استسلمت للمّة الشيطان >>لا يأتيك إلا القبيح

وإذا استعنت بالله وقاومت >>لن تسمع بعد ذلك إلا لمّة الملك

هذا الأمر يحدث معنا ويحدث حتى مع صغارنا، هذا الأمر يحدث في ثوان: تقف في موقف لا تملك فيه إلاّ خيارين – وكل المواقف فيها خيارين– إما يمينا وإما شمالا، مثلا نفترض أنّ أحدهم اعتدى عليك بالكلام فليس معك إلاّ خيارين؛ إما أن ترد عليه وتوقفه عند حدّه أو أنك تصبر وتحتسب وتسكت والله –عزّ وجلّ– هو وكيلك. لا نقول هذا الكلام تعميما لكل المواقف! هناك مواقف يجب فيها إيقاف النّاس عند حدّهم لأنهم لو تطاولوا سيحدث كذا وكذا.. نحن نتكلم

---

[1] قال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: ((تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَعَرْضِ الْحَصِيرِ عُودًا عُودًا. فأيّ قَلْبٍ أُشرِبَهَا نُكِتَتْ فِيه نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وأيّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضاءُ، حَتَّى تَعُودَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ: قَلْبٍ أَسْوَد مُرْبَادًّا كالكُوزِ مُجَخِّيًا. لا يَعْرِفُ مَعْروفاً وَلا يُنْكِرُ مُنْكَراً، إلا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ، وَقَلْبٍ أَبْيَض لا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّماواتُ وَالأَرْضُ)). رواه مسلم.

[2] في الحديث: ((إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ الْأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ثُمَّ قَرَأَ: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ})) البقرة:٢٦٨. أخرجه الترمذي (٢٩٨٨) من حديث ابن مسعود –رضي الله عنه– ورُوي موقوفا عليه.

عن الأمور السّهلة اليسيرة ولا نتكلّم عن الأمور الخطيرة التي لا يجب أن نسمح فيها للناس بالاعتداء مثلا الاعتداء على الدين، هذا لن نسكت أمامه طبعا! أو يعتدي أحدهم على عرضك ويتكلّم عنه لا نلزم الصّمت! الآن نضرب الأمثلة فقط من باب تصوّر القيمة وليس من باب التّعميم، لكن إن شاء الله عند دخولنا في تفاصيل القيم سنفهم المسألة.

الشاهد الآن: أولًا يجب أن تعرفي أنّ هذا الذي أتى من بعيد واعتدى عليك إنما **سلّط اختبارا لك**، هذا أول شيء "تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودا عودا" لا بدّ أنّ من جاءك من بعيد الله يختبرك به. ثم بعد مجيئه ماذا يحصل؟ استجابتك سوف تحدّد، تأتيك الفتنة فتسمعين في قلبك صوتين: صوتًا يدعوك للخير وصوتًا يدعوك للشرّ. واعتبري هذا الصّراع كأنه طاولة والموضوع في الوسط وهناك ما يجذبه إلى الخير وهناك ما يجذبه إلى الشرّ. إذا ملت في المرة الأولى إلى الخير واستجبت له في المرة القادمة ستدخلين في نفس الصراع وستكونين أقوى في اختيار الخير ثم تصبحين المرة التالية أقوى ويصبح صوت الملك أقوى في أذنك ويبدأ الطرف الثاني يضعف. وتمضي الأيام واختبار يلوه اختبار حتى أنك لا تسمعين لمّة الشيطان أبدًا! وقدّروا هذا الموضوع بمسألة بسيطة نعيشها كلنا: وضعت ساعتك على آذان الفجر، أول ما ترنّ الساعة وتفتحين عينيك الشيطان يترصّدك! يقول لك مباشرة " خذي غفوة" هذا صوت، وصوت ثاني يقول لك " إذا غفوت لن تستيقظي!" اعلمي أنّ اختيارك هنا هو اختيار على المدى الطّويل وليس اختياراً مؤّقتا وغدًا سيتغيّر، لا! هذا الاختيار خطير، لأنّك اليوم اخترت أنك ستغمضين عينيك -بدأنا في المشكلة- سيقوى من؟ ستقوى لمّة الشيطان. غدًا ستختبرين نفس الاختبار ولمّة الملك ستكون صعبة عليك في حين أنّ لمّة الشيطان ستكون أقوى. إلى أن يصل الإنسان أنه لا يسمع لمّة للملك أصلًا من كثرة سكوته للمّة الشيطان! أو العكس: اليوم فتحت عينيك وقلت "لا، أقوم أصلّي مباشرة لأني أعلم لو أني أغمضت عيناي لن أستفيق" اليوم انتصرت والحمد لله، وغدا انتصرت، وبعده انتصرت، وستختبرين وتختبرين إلى أن تأتي اللحظة التي لا تحتاجين فيها ساعة! ومن المؤكد أنه قد مرّ عليكم الكثير من كبار السنّ يستيقظون في نفس الموعد، انتهى اختبارهم! وصلوا إلى حال أنهم انتصروا على لمّة الشيطان انتصارًا بحيث أنها لم تعد تأتيهم. هذا هو الانتصار الذي يبحث عنه الإنسان، ولكن متى سيصله؟ لا تفكّروا أنه سيصله إليه اليوم أو غدا، لا بدّ أن يقوّي نفسه في الصّراع.

على كل حال، يجب أن نعرف أنّ قلبونا يحصل لها صراع، حتى الطفل الصغير الآن. جرّبوا خصوصًا عند الأطفال الذين تقولون عنهم أنهم عناديّون: ناديه ولا يرضى أن يأتيك، ثم قولي له "ماذا قلت في نفسك؟ في قلبك؟" فيخبرك! يقول لك "هناك شيء في قلبي يخبرني أن لا أذهب"، منذ الطفولة يدخل الإنسان في صراع!

قدّمنا للقيم بأربعة ممهّدات:

١. **الإنسان والقيم**: اتّفقنا في هذا الممهّد على أنّ [**قيمة الإنسان ما يطلبه من نفسه**].وهذا تبيّن لنا في "الصراع والقيم" بوضوح، أنت ماذا تطلب من نفسك؟ أين تريد أن تذهب بها؟

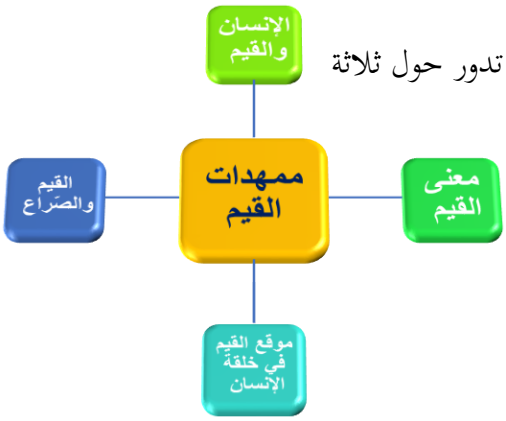

٢. **معنى القيم**: وصلنا إلى أنّ كلمة "القيم" هي كلمة مولّدة المعنى لكنها تدور حول ثلاثة أمور:

*__معرفة__ تصل إلى أن تصبح:

*__اعتقاد جازم__ أنتج لنا أمرين:

- **معايير**
- **وسلوك**

٣. **موقع القيم في خلقة الإنسان**: عرفنا أنّ القيم مكانها في الفطرة وليست هي الفطرة في حدّ ذاتها. يغذّيها ويروّيها الدين وشبّهنا بهذا التّشبيه: **الأديان غيث السماء والقيم نبت الفطر**.

٤. **القيم والصّراع**: لماذا نهتم بالقيم؟ لأنها ستساعدنا على الاهتمام بالصراع بعد ما تفهم جيّدًا أنك في صراع. يجب أن تفهم أنك في صراع وأنّ كل بلوى تأتيك تنتصر أو لا تنتصر فيها. ما هو مقياس انتصارك؟

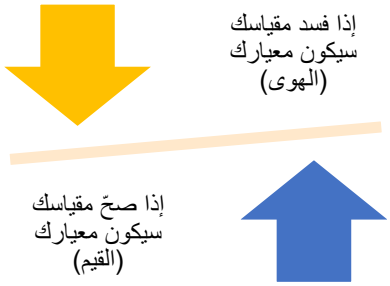

مثلًا المشكلة التي نعيشها مع طالبات المدارس: طالبة ترى أنّ قوّتها هي قدرتها على رفع صوتها في وجه كلّ من يكبرها في المدرسة، فتكون بهذا البنت الشّجاعة. فالآن الصّراع الذي في نفسها ما المقياس الذي وضعته له؟ مقياسه هو الانتصار على الكبير، رفع الصوت على الكبير. وهذا مقياس من الهوى! ففي الممهّد الرابع النجاح في الصّراع سيكون مقياسه القيم!

إما أن يكون مقياس نجاحك في الصّراع القيم أو أن يكون الهوى

انتهينا من الممهّدات الأربعة، هذه الممهّدات كلها تقول لنا: حتى نكون أسوياء في أنفسنا وكذلك حتى يكون أبناؤنا في تربيتهم أسوياء لا بدّ أن نهتمّ ببناء قيميّ صحيح. فهذا البناء القيميّ الصحيح سيبدأ كما اتّفقنا بمعرفة وينتهي بعقيدة ثم هذه العقيدة تأتي بمعيار وبسلوك.

قيمة الإحترام:

لو طبّقنا هذا الكلام على قيمة "الاحترام" هذه القيمة كما قلنا في أول اللّقاء اختيرت بسببين – في أول اللقاء ذكرنا سببا والآن نذكر السبب الثاني–: اختيرت قيمة الاحترام بسبب **الظواهر السلوكية التي نراها بعيدة عن الاحترام**، أي أنّ هناك ممارسات سلوكية كثيرة جدًا عندما تنظر إليها تقول "هذا يفقد الاحترام". ودائرة الفقد واسعة جدا لدرجة أنه حصل التّطاول على كل شيء وسقط الاحترام عن كل شيء، وما علّلنا ذلك أنه الاحترام بسبب المشكلة الثانية التي هي **ضيق دائرة الاحترام**. حتى من يرى أنه لدينا مشكلة في الاحترام جعل دائرته في الاحترام ضيّقة أصلاً، ولهذا نعاني الآن من مشكلتين:

- **من مظاهر سلوكية تدلّ على فقد قيمة الاحترام.**
- **ومن فهم المربّين الذين تضيق عندهم دائرة قيمة الاحترام.**

بحيث أننا لو قلنا لأيّ طالب " الاحترام " يفكّر أنه يحترم من؟ يحترم المعلّمين، يحترم والديه، يحترم الكبير، هذا أقصى فهم عنده لل احترام. والسبب في هذا الفهم عند الصغير هم الناس! لهذا إذا دخلت وهناك نشاط مع الطّلاب وتقولين لهم " الآن سنتكلم عن الاحترام " فيقولون لك " لا تكلّمينا عن احترام المعلّمين، فليحترموا أنفسهم أولًا!" هذا هو ردّهم! لأنهم يفسّرون الاحترام بأنه فقط احترام الناس واحترام المعلّمين فلا يوجد عنده قاعدة واسعة في الاحترام.

اليوم سوف نتكلّم عن المعنى العام ثم سوف نتكلّم عن المعنى الخاص في بقيّة السلسلة.

لو أتينا إلى أصل كلمة الاحترام فهي من مادّة "حرُم" أي من الحرمة. هذا يعني **احترام كلّ شيء له حُرمة**، والحرمة ليست بمعنى حرام وحلال! أنت تقولين "الحرم المكي" و"الحرم المدني" وتقولين "البيت له حُرمة"، المعنى موجود في أذهاننا: أي الشيء المقدّس المحترم الذي لا يجب أن يحصل عليه تعدّي أو يدنّس أو يُساء إليه. الإشكال أنّ هذا المعنى غير واضح ولهذا عندما يقول لك أحدهم " يا حُرمة" تغضبين، صحيح؟ فقوله لك "يا حُرمة" يعني أنك شيء مقدّس ومحترم ولا يعتدي أيّ أحد عليك، ولكن لأنّ كل شيء معكوس في أذهاننا فحتى هذا المعنى غير موجود كما ينبغي! مثلًا في الشّام يضعون سياجًا ويقولون "هذا مكان الحريم" أي أنّ هذه حُرمتنا التي يجب عليك أن لا تصلها و لا تتعدّى عليها ولا تنظر إليها، هذا شيء مقدّس، ممنوع، طاهر، بهذه المعاني التي يأتي منها أنّ كل شيء له حُرمة يجب احترام هـ. من هنا جاءت كلمة الاحترام، إذن هذه الدائرة ستكون ضيّقة أم واسعة؟ واسعة جدًا! وستأتي كلمات مختلفة للتعبير عن الاحترام، فكل شيء له حُرمة يجب عليك أن تحترمه.

فنبدأ ابتداءً بتعظيم الله وننتهي إلى الطريق التي نمشي فيها فالنبي صلى الله عليه وسلم عندما رأى الصّحابة يجلسون على الطريق نهاهم عن ذلك فقالوا ما لنا إلا هذه الطّرقات فأمرهم أن يعطوها حقّها ! **فالاحترام معناه إعطاء كلّ ذي**

---

[1] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ إِلا الْمَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلامِ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ)) أخرجه الشيخان في صحيحهما.

حقّ حقّه. هكذا نصل إلى أنّ فقد قيمة الاحترام سيكون له مظاهر واضحة، فبعدما فهمت كم تتّسع دائرتها لو أنك أردت رصد فقد قيمة الاحترام في تغريدات الناس ماذا ستقولين؟ أول أمر تعدّيهم على ذات الله وتحدّث الناس في الإلحاد وأصبح بإمكانهم التعدّي على كتاب الله ولا يحترمون قدسيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم! هذا كله يعتبر فقدا للاحترام. كل هذه المظاهر جرّت بعضها بعضًا، فدائرة الاحترام دائرة واسعة وفقدانها في المجتمع يعني فقدان عمود المجتمع! إذا لم يجعل المجتمع لكل شيء قدسيّة وحُرمة ينهار! إذا النّفس غير مقدّسة عند الناس ماذا يصبح القتل؟ يصبح القتل سهلاً! الآن عندما نرى مثلًا في بعض المقاطع أنهم يلعبون بالحيوانات، ماذا يسمّى هذا؟ هذا عدم احترام للرّوح الموجودة في هذا الحيوان! فالاحترام يعني أنّ الأشياء التي لها حرمة وقدسيّة كل شيء حسب ما يناسبه أعطيه قدسيّته وحرمته وأنا أحترمه. فلا تعتقد أنّ الشخص الذي معه احترام هو الشخص الذي يكلّمك ويبجّلك ويتأدّب معك، أو أنّك تكون كبيرًا في السن فيتوقّف ليكلّمك فيكون بذلك محترمًا! وفي المقابل قد يتعدّى على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ق يتعدّى على كتاب الله، لا! هذا فقد عمود الاحترام. طيب، يعظّم الله –عزّ وجلّ– ويعظّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عندما يأتي يكلّمك لا يقدّر الكبير ولا يتصرّف بالطريقة الصحيحة إلى أن يصل إلى أن لا يقدّر الطريق وتجده يعبث ويفعل، إلخ.. كلّ هذا نقص في الاحترام! لكن كلّ شيء بمنزلته، فإذن فقدان قيمة الاحترام تعتبر مصيبة كبيرة على المجتمع الإسلاميّ! **وتغيير قيمة الاحترام أو تضييقها** كما يحصل بحيث أنها تصبح عبارة فقط عن المعاملات الإنسانية، أو تكون كمالًا للمعاملات الإنسانية ففي بعض المقاييس تكون محترما إذا فعلت كذا و كذا وكذا فقط! وغيرها من الأمور لا تكون بها شخصًا محترمًا، هذا أيضا مشكلة كبيرة. مثلاً: هذا الشخص أبو وجهين وهؤلاء انتشروا انتشار النّار في الهشيم، فبعدما كان الناس مخلصين ولا ترى منهم إلا وجهًا واحدًا فجأة أصبحوا مستعدّين لأن يكونوا بوجهين. عندما يلتقي بك: ما ألطفه! ما أأدبه! محترم! فقط تغادر أنت المكان مثل هذا في تقديرك أنت أنه محترم لكنه في الحقيقة غير محترم! حتى مقاييس الاحترام أصبح فيها إشكالات، فلا بد من إعادة النظر في مقاييس الاحترام.

جزاكم الله خيرًا، ألقاكم إن شاء الله في اللّقاءات القادمة.